University of Benghazi
Faculty of Education Almarj

جامعة بنغازي
كلية التربية – المرج
ISSN 2518-5845

Global Libyan Journal

المجلة الليبية العالمية

العدد السادس والخمسون / فبراير / 2022

البلاغة النبوية واستباقية الحدث

دراسة لفن التشبيه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة

د. حمدي حميد عباس بشير / كلية الآداب – قسم اللغة العربية – جامعة درنة /

البلاغة النبوية واستباقية الحدث

دراسة لفن التشبيه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة

ملخص الدراسة:

تتناول هذه الدراسة بلاغة التشبيه النبوي في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، بهدف إبراز ملامح الجمال الفني والإمتاعي، وهي دراسة بلاغية تطبيقية محورها حديث رسول الله– صلى الله عليه وسلم– حاولت فيها جاهداً الانطلاق من بلاغة الرسول– صلى الله عليه وسلم– ملتزماً المنهج الوصفي التحليلي، مما ساعد في جلاء أسرار الصور البيانية، وما يتبع ذلك من محاسن نظمية وأسلوبية وطرائق فكرية ومعنوية تهدف إلى توضيح القدرة النبوية على الإقناع وتجسيد واقعي وملموس لما سيحدث في المستقبل.

الكلمات المفتاحية: البلاغة النبوية– التشبيه – أحاديث الفتن والملاحم– أحاديث أشراط الساعة

"Prophetic rhetoric and preceding actions"

(A study of Simile in our Prophet's Holy Talks about Temptation, Epics and the Hour's sign)

Dr. Hamdi Hamid Abbas Bashir

Study summary:

This study deals with the eloquence of the prophetic analogy in the hadith of temptations, battles, and the signs of the resurrection day, with the aim of highlighting the features of artistic and entertaining beauty, and it's an applied rhetorical study about the hadith of the Prophet-may Allah bless him and grant him peace- I tried so hard to proceed from the eloquence of the Prophet- may Allah bless him and grant him peace- adhering to the descriptive analytical method, which helped to clarify the secrets of graphic images, and the consequent systematic and stylistic advantages, as well as intellectual and moral methods that aim to illustrate the prophetic power of persuasion and a realistic and tangible embodiment of what will happen in the future.

المقدمة

تتناول هذه الدراسة بلاغة التشبيه النبوي في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، بهدف إبراز ملامح الجمال الفني والإمتاعي، وهي دراسة بلاغية تطبيقية محورها حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– حاولت فيها جاهداً الانطلاق من بلاغة الرسول– صلى الله عليه وسلم– ملتزماً المنهج الوصفي التحليلي، مما ساعد في جلاء أسرار الصور البيانية، وما يتبع ذلك من محاسن نظمية وأسلوبية وطرائق فكرية ومعنوية تهدف إلى توضيح القدرة النبوية على الإقناع وتجسيد واقعي وملموس لما سيحدث في المستقبل.

وارتباط التشبيه بالإقناع ، كان دافعا لرسم صورة من صور الدعوة إلى الله التي سلكها الرسول– صلى الله عليه وسلم– وأملى بها حجته الإقناعية والتأثيرية في قومه، فتقنية التشبيه قادرة على إثارة المتلقي وجذب انتباهه عن طريق العلاقة القائمة التي تجمع بين المشبه والمشبه به، فهذه العلاقة تحمل المتلقي على الاقتناع والقبول بما كان يقصده الرسول – صلى الله عليه وسلم – و تكمن أهمية التشبيهات النبوية الشريفة فيما تحققه من إقناع لدى المتلقي، وهذا الإقناع لا يتحقق إلا من خلال التواصل الإمتاعي لمتلقي الخطاب النبوي من جهة وإقامة الحجج والبراهين النبوية من جهة أخرى.

وقد قصدت في معظم الأحيان الخروج عن الطرق التقليدية في دراسة الصورة البيانية إلى نمط آخر مغاير قوامه النظرة الشمولية التي تتبع منشأ الصورة وبواعثها النفسية والاجتماعية وأدواتها الزمانية والمكانية والتي تعد أدوات إمتاعية إقناعية في الوقت ذاته، مع ما انطوت عليه من أسرار الإبداع الفني ومظاهر التصوير البياني التي فرضتها الصورة البيانية ذاتها.

طبيعة البحث: هو عبارة عن تحليل بلاغي لظاهرة التشبيه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة. وإبراز ما بها من تشبيهات بمختلف أنواعها.

أهمية الموضوع:

١– تكمن أهمية الموضوع في القضايا الدينية والدنيوية الموجودة في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة .

٢– إبراز أساليب التشبيه البلاغية والتي تعد بدورها وسيلة للإقناع بما بشر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

أسباب اختيار الموضوع :

١– التقرب لله– تعالى–، ولربط السنة النبوية وأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة بالدراسات البلاغية .

٢– عدم وجود دراسات سابقة تناولت التشبيه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة.

منهج الدراسة: المنهج الوصفي التحليلي.

وقد سارت هذه الدراسة وفق خطة علمية انتظمت في مقدمة، وتمهيد، وثلاثة مباحث، تلتها خاتمة بأهم النتائج، ثم قائمة بالمصادر والمراجع.

أما التمهيد: فقد جاء حديثاً موجزًا في قسمين: عرف في القسم الأول منه بأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة تعريفاً مقتضباً، وألقيت الضوء في القسم الآخر منه على مفهوم التشبيه ووظائفه.

وجاء المبحث الأول ليتناول التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، فتناولت فيه تشبيه المحسوس بالمحسوس، وتشبيه المعقول بالمحسوس.

وتناولت الدراسة في المبحث الثاني التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وجاء في قسمين تشبيه المفرد بالمفرد وتشبيه الجمع بالجمع.

ثم جاء المبحث الثالث متناولا أنواع التشبيه في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، والتي تنوعت ما بين تشبيه بليغ وتشبيه تمثيلي وتشبيه مرسل.

أما الخاتمة فقد حوت موجزا للدراسة تلتها النتائج التي توصلت إليها. وأعقبت ذلك بقائمة المصادر والمراجع.

التمهيـد

إن من عظمة هذا الدين الخاتم كماله، وإن من مظاهر كماله تهيئته لنفوس أصحابه لما يستقبلونه من حوادث ووقائع، علوية وسفلية، ليسيروا من ثم على نور وبصيرة يعرفون من خلال خبر نبينا الصادق ما كان وما سيكون نافع لهم في دنياهم وأخراهم، وكان من جملة تلك النصوص الشرعية المتحدثة عن أمور المستقبل ما يتعلق بذكر الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مما يعطي المسلم تصورا عما يستقبله منها ليحذر فيسلم ويتقي فينجو.

وثمة علاقة تواصلية إبلاغية بين التشبيه بوصفه لونا بيانيا له سماته الخاصة وبين الاقتناع بأمور غيبية لم يكن لها وجود وقتما تحدث عنها رسولنا الكريم– صلى الله عليه وسلم –، فلقد استخدم رسولنا الكريم التشبيه كأداة تواصلية إفهامية يرسم بها عالمه المستقبلي الغيبي ، وذلك عن طريق القيمة البلاغية للتشبيه والتي تتحول إلى أدلة وبراهين إقناعية.

فالتشبيه في الحديث النبوي الشريف خطاب إمتاعي إقناعي فهو نتاج الغاية النبوية التي تهدف إلى تحقيق المقاصد التشريعية والإقناعية؛ وإن الأحاديث النبوية الشريفة التي تناول فيها – صلى الله عليه وسلم – الحديث عن الفتن والملاحم وأشراط الساعة جعل لها خصوصية بين أنواع الخطاب النبوي المختلفة، إلى جانب خصوصية كونها ليس خطاباً بشرياً خالصاً، وهذه الخصوصية تتطلب رؤية في الدرس البلاغي تدرسها من جانب خاص لتكشف عن سماتها الفريدة.

أولا: مفهوم أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة

أ– مفهوم الفتن، والمراد بأحاديث الفتن:

قال ابن فارس:" الفاء والتاء والنون أصلٌ صحيح يدلُّ على ابتلاء واختبار"[1]. وقال صاحب القاموس: "الفِتْنَةُ، بالكسر: الخِبْرَةُ، كالمَفْتُونِ.. وإِعْجابُكَ بالشيءِ، وفَتَنَه يَفْتِنُه فَتْناً وفُتوناً وأَفْتَنَه، والضلالُ، والإِثْمُ، والكُفْرُ، والفَضِيحَةُ، والعذَابُ، وإِذابَةُ الذَّهَبِ والفِضَّةِ، والإِضْلالُ، والجُنونُ، والمِحْنَةُ، والمالُ، والأَوْلادُ، واخْتِلافُ الناسِ في الآراء. وفَتَنَه يَفْتِنُهُ: أَوْقَعَهُ في الفِتْنَةِ ... وإِلى النساءِ فُتوناً، وفُتِنَ إِليهِنَّ بالضم: أَرادَ الفُجُورَ بِهِنَّ"[2].

أما الفتنة اصطلاحا:" فقد عرفها الجُرجاني بقوله:" ما يتبين به حال الإنسان من الخير والشر. فتنتُ الذهب بالنار إذا أحرقته بها ليُعلم أنه خالص أو مَشوبٌ"[3]. وحكى المناوي في التعاريف عن الحَرالي قال:" الفتنة: البليّة وهي: معاملةٌ تُظهر الأمور الباطنة"[4].

---

1 – فارس، أحمد بن (1990م) : معجم مقاييس اللغة ، تحقيق/ عبد السلام هارون، ج4، الدار الإسلامية– لبنان، صـ 472

2 – الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب: القاموس المحيط،(د. ت)، مؤسسة الرسالة – بيروت، صـ 1575

3 – الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405هـ) : التعريفـات، تحقيق/ إبراهيم الإبياري، دار الكتاب العربي– بيروت، ط1، صـ 1575

ويظهرُ أصلُ العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للفتنة في قولهم:" فتنتُ الذهب بالنار إذا أحرقته بها ليُعلم أنه خالص أو مَشوبٌ"([5])، وقال ابن منظور:" جماعُ معنى الفِتْنة: الابتلاء والامْتِحانُ والاختبار، وأَصلها مأْخوذ من قولك فتَنْتُ الفضة والذهب إِذا أَذبتهما بالنار لتميّز الرديء من الجيّدِ"([6]).

وصِلة الفتنة بالضَّلال أنَّ ضعيف الإيمانِ يضلّ فيها طريق الصواب، وصلتها بالإثم أنها تلحق بمواقعها، فالفتنة يفقد المرء فيها اتزان عقله بحيث يخرج عن طورهِ حدًّا يجعله في دائرة العشوائية والتخبط.

ب– الملاحـم وأشراط الساعة:–

"المَلْحَمة: الوَقْيعةُ العظيمة القتل، وقيل موضع القتال، والجمع المَلاحِم مأخوذة من اشتباك الناس واختلاطهم فيها كاشْتِباك لُحْمةِ الثوب بالسَّدي. والمَلْحَمة الحربُ ذات القتل الشديد. والمِلْحمة الوَقعة العظيمة في الفتنة"([7]).

فأحاديث الملاحم وأشراط الساعة من الغيب الذي يجب الإيمان به، والذي يثيب الله على الإيمان به العباد، وبغيره لا يكون المؤمن مؤمنا، فلا يصح إيمان العبد إلا بالإيمان بكل ما جاء به النبي– –من أحكام شرعية ومغيبات ماضية وحاضرة ومستقبلية والتسليم له بالجميع، وقد اعتنت كتب العقائد بالتنبيه إلى هذه المسألة على وجه العموم، وما يتعلق بأشراط الساعة على وجه الخصوص، يقول الإمام الطحاوي مثلا: "ونؤمن بأشراط الساعة من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم– –من السماء، ونؤمن بطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من موضعها"([8])، لذا يجب علينا الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصح به النقل عنه فيما شاهدناه أو لم نشاهده، ونعلم تمام العلم أنه حق وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه.

ثانيا: مفهوم التشبيه ووظائفه

يمثل التشبيه بوصفه واحدًا من روافد التصوير البياني أحد وسائل البليغ الأديب التي تعينه على أداء الوظيفة الإبلاغية، وتوضيح المعاني، وتقريبها إلى المتلقي، فهو يمنحه قدرة على لمح الإيحاء والغوص في المعاني.

وعن طريقه نستطيع أن نصل إلى ماهية الأشياء، حيث فيه من عناصر الإبداع ما ليس في سواه، فضلاً عن كونه أداة في بث المتعة اللغوية والجمال البلاغي في ثنايا النص، والارتقاء به من مرتبة الخطاب النفعي أو التداولي إلى الخطاب الفنّي الجمالي المحقق للإمتاع اللغوي والإقناع الحجاجي.

4 – المناوي، محمد عبد الرؤوف (1410هـ): التعـاريف، تحقيق/ محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر – بيروت، ودار الفكر– دمشق، ط1، صـ549

5– الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405هـ): التعريفـات ، صـ 1575.

6– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج13، دار صادر– بيروت، ط2 ، صـ 317

7 – ابن منظور(1990م): لسان العرب، ج12، صـ 537

8 – ابن أبي العز الحنفي، صدر الدين محمد (1426هـ– 2005م) : شرح العقيدة الطحاوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة– الطبعة المصرية الأولى، صـ 499

والتشبيه بما يمتلك من قدرة على" إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو بمعناه"[9] يعدّ أشرف أنواع البلاغة وأعلاها[10]، وأكثرها أهمية من حيث إسناد فاعليّة الخيال وحدوده وطبيعته إليه[11]، فيكون –التشبيه– ثمرة مخيّلة المبدع، لتتم عن طريقه المشاركة بين المبدع والمتلقي فيتأثر به، ويحس بانفعاله ويدرك خياله ويتفهم أفكاره، فالتشبيه" أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة على المعنى"[12]، فهو من الوسائل البيانية التي يتوسل بها الأديب لبيان الفكرة وجلاء ما خفي منها، وتقريب البعيد عنها، فيجعل من الأشياء المنفصلة تبدو متّفقة، ويقارب بين مظاهر الكون المتباعدة من خلال إيجاد نوع من الارتباط بين الأشياء التي قد توجد فيما بينها روابط خفية غير ظاهرة لا يصل إليها إلا خيال المبدع، وربما في بعض الأحيان لا يوجد بينها أية صلات ولكنه –الخيال– هو الذي يوجد هذه الصلات، حيث إنه يقوم على أساس أن الطرفين يقوم أحدهما مقام الآخر لوجود رابط يربطهما معا سواء أكان هذا الرابط حسّيا ظاهرًا أم عقليًا خفيًا يُستنبط من خلال علاقة خفيّة تربط بين المشبه والمشبه به.

وبما أنه حدث معنوي لا يدرك بالحواس، فالأديب الأريب يوجِد التشبيهات منطلقا من ذاته وتجربته وإحساسه تجاه الأشياء، فالتشبيه "مبني على ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها"[13].

والتشبيه هو" العقد على أن أحد الشيئين يسدّ مسدّ الآخر في حس أو عقل "[14]، أو هو "الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة تشبيه ناب منابه أو لم ينب"[15]، أي" أن تثبت للمشبه حكمًا من أحكام المشبه به"[16].

وعُرِّف حديثا بأنّه تشكيلٌ لغويٌّ مكوّنٌ من الألفاظ والمعاني العقلية والعاطفة والخيال[17]. وهو مظهر خارجيُ يجلبه الشاعر أو الكاتب ليعبر به عن دوافعه وانفعالاته، واسترجاع ذهني لمُحس، من حيث أنّ الأديب يستحضر ما أدركته الحواس إبّان الحاجة إليه.

9- ابن الأثير(1962م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق/ أحمد الحوفي و بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر- القاهرة ،ط1، صـ124

10- ينظر: السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (1416هـ- 1996م): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق/ سعيد المندوب، دار الفكر العربي- بيروت، ط1، صـ 42

11- عصفور، جابر: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب(1992م) ، المركز الثقافي العربي- بيروت – لبنان، ط3، صـ 171

12 – عتيق، عبد العزيز (1970م): علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر- بيروت- لبنان، صـ105

13- عبد القادر، حامد (1949م): دراسات في علم النفس الأدبي، لجنة البيان العربي – المطبعة النموذجية- القاهرة، صـ41

14- الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى(1968م): النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق/ محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف – القاهرة ، ط2، صـ 166

15 – العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل : كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية- القاهرة ،ط1، 1371هـ – 1952م ، صـ245

16 – الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (1377 هـ – 1958م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط2 ، صـ 414

17 – ينظر: البطل، علي (1983م): الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس – بيروت، ط3 ، صـ 30

وللتشبيه أركان رئيسة يقوم عليها هي: المشبه، المشبه به، أداة التشبيه، وجه الشبه. فالركنان الأساسيان اللذان لا استغناء لكل تشبيه عنهما هما المشبه والمشبه به، فلا يقوم بدونهما، وفي حالة ما إن حُذف أحدهما يتحول من كونه تشبيهًا إلى استعارة.

أمّا أداة التشبيه ووجه الشبه فلا يقلّان أهمية عن الركنين السابقين كما سنري في المادة العلمية موضوع دراستنا، وعلى الرغم من أن الأداة تقوم بدور الرابط اللفظي بين المشبه والمشبه به ووجه الشبه هو الرابط المعنوي[18]، إلا أن التشبيه يمكنه الاستغناء عن أحدهما أو عن كليهما معًا، فيزداد التشبيه بهذا الحذف قوّة وعمقًا خياليًا.

18 – ينظر: الطرابلسي، محمد الهادي (1981م): خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية– مجلة الفلسفة والآداب – تونس، عدد 20، ، صـ143

المبحث الأول: التشبيه باعتبار المحسوس والمعقول:

أ– تشبيه المحسوس بالمحسوس:

فيه يكون "المشبه والمشبه به حسيين، أي يدركان بإحدى الحواس الخمس"[19].

مثال: قول النبي – صلى الله عليه وسلم– يذهب الصالحون الأول فالأول ويبقى حفالة كحفالة الشعير أو التمر لا يباليهم الله باله قال أبو عبد الله يقال حفالة وحثالة"[20].

شبه الرسول –صلى الله عليه وسلم– حفالة الناس بحفالة الشعير، والحفالة كما هو معروف الرديء من كل شيء، فقد قال الأصمعي " هو من حفالة الناس أو حثالتهم أي ممن لا خير فيه منهم"[21]. لقد هدف الرسول إلى الإقناع العقلي مستعينًا بأساليب وأدوات من بيئته المحيطة حتى يتسنى للمخاطبين أن يرسموا صورة حسية لما سيؤول إليه الناس فيما بعد، هذه الصورة الحسية يرتضيها العقل والمنطق لبعدها عن الغلو والمبالغة.

ومنه قول النبي– صلى الله عليه وسلم– :" يخرج في هذه الأمة في آخر الزمان رجال معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس"[22]. وهنا شبه رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم– السياط –وهي شيء محسوس– بأذناب البقر وهي شيء محسوس أيضا، وتشبيه السياط بأذناب البقر ليدلل على بشاعة هذه السياط وقبح منظرها، فتشبيهه– صلى الله عليه وسلم– لسياط هؤلاء الرجال بأذناب البقر يمثل إشارات تضيء جوانب المشبه (السياط) والتي تعكس في الأصل هيئة هؤلاء الرجال الذين يمتلكونها ومدي بطشهم وقوتهم.

ومن أمثلة التشبيه المحسوس بالمحسوس قوله– صلى الله عليه وسلم– :" إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، أَلا إِنَّ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى كَأَنَّ عَيْنَهُ عِنَبَةٌ طَافِيَةٌ .."[23].

فقد شبه الرسول– صلى الله عليه وسلم – عين المسيح الدجال هي شيء محسوس بالعنبة الطافية أي العنبة البارزة وهي شيء محسوس أيضًا، والتشبيه النبوي السابق يحتوي على علاقة تصويرية بين المشبه والمشبه به(عين المسيح الدجال والعنبة الطافية)، تلك العلاقة التي تكون قادرة إثارة المتلقي وإقناعه بقبول التشبيهات النبوية.

ب – تشبيه المعقول بالمحسوس:

ويكون المشبه هنا معنويا أو عقليا والمشبه به حسيا ماديا، وهو إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه

19 – مطلوب، أحمد (1983م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، المجمع العلمي العراقي– بغداد، صـ199

20 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 392

21– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج11، صـ 158

22 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 440

23 – المـرجع السـابق، صـ507

الحاسة[24].

ومن أمثلة هذا التشبيه قول رسولِ اللَّهِ– صلى الله عليه وسلم–"..ثمَّ تقعُ الفتنُ كأنَّها الظُّلَلُ"[25]، حيث تأتي الفتن وهي تحجب ما وراءها من شر وفساد وبلاء عن أعين الناس، كما وصفها النبي بالظلل، فهنا تشبيه عقلي بحسي، فالفتن لا ترى وهي شيء معنوي، الظلل تدرك بالعين المجردة.

وعن أسامة بن زيد–رضي الله عنه– قال: أشرف النبي– صلى الله عليه وسلم– على أطم، فقال:"هل ترون ما أرى، إني لأرى مواقع الفتن خلال بيوتكم كمواقع القطر"[26].

فهذا الحديث النبوي قائم على استعانة رسولنا الكريم بصورة إقناعية استدلالية أوسع وأغنى من طرق الإخبار التقريرية، فالرسول حين أبلغ صحابته عن رؤيته للفتن واقعة في نواحي المنازل وتشبيهه مواقع سقوطها بمواقع المطر مما هو مشعر بكثرتها واتصافها بالعموم، ووقوعها في شتى الأماكن.

وفي حديث شريف آخر يشبه رسولنا الكريم الفتن بقطع الليل المظلم حيث روى أبو موسى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه قال " إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا.."[27].

فقد شبه الرسول–صلى الله عليه وسلم– شيئا معقولا وهو الفتنة بشيء محسوس وهو قطعة من الليل المظلم التي يمكن لنا أن ندركها بأحد حواسنا(العين المجردة)، وهذا التشبيه يعطي دلالة بشدة الفتنة وظلمتها وعدم تبين أمرها، وقد بنى الرسول – صلى الله عليه وسلم– وسيلته الإقناعية في الحديث السابق على طرح الحجة المتضمنة في التشبيه ذاته وحمل المخاطب على الإذعان بها والتسليم بحتمية وقوعها في المستقبل، فالإقناع هو" تقديم الحجج والمناقشات لحمل الفرد على فعل شيء أو الاعتقاد بشيء ما"[28].

24- مطلوب (1983م): معجم المصطلحات البلاغية ، ج٢ ، صـ ٢٠٦

25- العدوي، مصطفى (د–ت) : الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 59

26- المرجع السابق ، صـ 62

27 – نفسه ، صـ 247

28 – شمال الدين، محمود (2006م): الصورة والإقناع(دراسة تحليلية) ، دار الآفاق العربية – بيروت– لبنان، ط1 ، صـ30

المبحث الثاني: التشبيه باعتبار الإفراد والتركيب والتعدد

أ– تشبيه مفرد بمفرد:

وهنا لا نعني بالإفراد ما قصده علم النحو، ففي النحو يعني المفرد غير ما يعنيه المثنى أو الجمع ، فالمفرد في البلاغة غير المركب، فإذا قلنا هذا الولد نظيف، فإن قولنا يدل على مفرد، وكذلك قولنا هذان الولدان نظيفان، وهؤلاء أولاد نظيفون فهي جميعا مفردة بلاغيا[29].

مثال: قال النَّبِيّ – صلى الله عليه وسلم – "سِبَابُ الْمُسْلِمِ فُسُوقٌ وَقِتالُهُ كُفْرٌ"[30]. فالتشبيه في الطرفين وقع مفرد بمفرد دون تعدد ولا تركيب، حيث شبه الرسول– صلى الله عليه وسلم– سباب المسلم بالفسوق وهو تشبيه مفرد بمفرد، وشبه قتال المسلم بالكفر وهو تشبيه مفرد بمفرد. والتشبيه النبوي السابق يمتاز بكونه تشبيه مفرد بمفرد جاء في صورة متسلسلة مما يضفي عليه سمة جمالية وبلاغية قادرة على تحريك وجدان المتلقي والتأثير فيه ، مما يمكّن للمتكلم (الرسول– صلى الله عليه وسلم–) تحقيق غايته من خطابه (الحديث النبوي) عن طريق إقناع المتلقي وإقراره بمقاصده والالتزام بها.

وفي مثال آخر قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم –:" ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها.."[31].

فقد شبه –صلى الله عليه وسلم– رؤوسهن– أي النساء الكاسيات العاريات– بأسنمة البخت، وهو يقصد برؤوسهن شعر الرؤوس "فهن اللواتي يتعممن بالمقانع على رؤوسهن يكبرنها بها وهو من شعار المغنيات"[32] فيظهر أنهن يجمعن شعرهن كله لمة خلف الرأس، وتعقده خلفها بخيط أو نحوه فإذا مشت خيل إلى الناظر أن لها رأسان ؛ حيث أن الشعر كأنه رأس ثانية فتكون شبيهة بأسنمة البخت التي هي نوع من الإبل لها سنامان أحدهما أكبر من الآخر.

ومنه قول الرسول–صلى الله عليه وسلم–:" ثم يرسل الله– أو قال ينزل الله – مطرًا كأنه الطل– أو الظل"[33]، فالتشبيه بين الطرفان وقع مفرد بمفرد دون تعدد ولا تركيب، حيث شبه المطر بالطل وهو الأرجح حسب ما ورد في شرح الحديث بالمتن في الصفحة ذاتها، حيث يقصد بالطل مني الرجال، وما نلاحظه أنه– صلى الله عليه وسلم– في الكثير من أحاديثه كان يضرب الأمثال ويعمد إلى التشبيهات مراعيًا مقتضى الحال.

29 – شيخ أمين، بكري (1982م): البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج3، دار العلم للملايين، ط١، صـ 22
30 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ297
31 – المرجع السابق ، صـ 410
32 – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج12، صـ 306
33 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 537

ب– تشبيه الجمع بالجمع :

وهو ما يسمى بالمركب حيث يعني الصورة المكونة من عدد من العناصر، مزج بعضها ببعض فصارت شيئا واحدا[34]، وتعدد العناصر يقابله في الصورة الفنية تعدد المشبه به دون المشبه، وهذا النوع من التشبيه يمكن أن يعد أسلوب إحصاء لعنصر المشابهة بين طرفي التشبيه، فضلا عن قوة الملاحظة والبراعة في الجمع بين الأشياء المناسبة والقدرة على نظمها في سلك قصير[35].

مثال: عن أبي هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال:" لا تقوم الساعُة حتى تقاتلوا قومًا نعالُهم الشعرُ وحتى تُقَاتِلوا الترك صِغارَ الأعين حمْرَ الوجوه ذلفَ الأنوفِ كأنَ وجوهَهم المجانّ الْمُطرقةُ وتجدون خير الناس أشدهم كراهة لهذا الأمر حتى يدخل فيه والناس معادن خِيارُهم في الجاهلية خيارُهم في الإسلام وليأتِيَنَّ على أحدِكم زمانٌ لأن يراني أحبط إليه من أن يكون له مثل أهله وماله[36].

فلقد شبه النبي– صلى الله عليه وسلم– الترك بأنهم صغار الأعين حمر الوجوه ذلف الأنوف كأن وجوههم المجان المطرقة، فالصورة مركبة من عدة عناصر فالمشبه واحدًا والمشبه به متعدد، ثم شبه في الحديث ذاته– الناس بالمعادن خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام فالصورة مرسومة في أذهاننا مركبة.

ومن أمثلة تشبيه الجمع قوله – صلى الله عليه وسلم–" إن مثلكم في الأمم كمثل الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود– أو: كالرقمة في ذراع الحمار"[37].

ففي الحديث السابق تعدد المشبه به(الشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود–الرقمة في ذراع الحمار)، والرقمة هي" الهنة الناشئة في ذراع الدابة من الداخل، وقيل: المرقوم من الدواب الذي يكوى على أوظفته كيات صغارًا، فكل واحدة منها رقمة"[38].

ففي التشبيه السابق نلحظ أن المشبه واحدًا في مقابل تعدد عناصر المشبه به يعطي أسلوب التشبيه – بوصفة صور بيانية– طاقة دلالية أوسع وأشمل تساعد في تحديد ملامح المشبه ومنحه شكلا متكاملا متعدد الألوان مختلف الجوانب مما يساعد في الوصول لمقاصد الإقناع.

وفي حديث نبوي آخر يقول رسول الله – صلى الله عليه وسلم–".. آيتهم رجلٌ أسودٌ إحدى عضديه مثل ثدي المرأة

34 – علوان، محمد وأخر (1998م): من بلاغة القرآن الكريم، الدار العربية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط2 ، صـ 160
35 – الجندي، علي (1966م): فن التشبيه،ج2، مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة ، ط2، صـ 147
36– العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 335
37– المرجع السابق ، صـ 578
38 – ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب (1990م): ج12، صـ 249

أو مثل البضعة تدردر، يخرجون على حين فرقةٍ من الناس."(39).

وفي الحديث السالف الذكر شبه– صلى الله عليه وسلم– إحدى عضدي الرجل الأسود بثدي المرأة أو بالبضعة التي تدردر، والبضعة" من بَضعَ اللحم يَبْضَعُه بَضْعًا وبضعه تَبْضِيعًا: قَطعه، والبَضْعة: القِطعة منه.."(40)، وهذا التشبيه يعد علامة من الرسول لصحابته يشير بها إلى الخوارج الذين سيكون بهم رجل بهذه الصفات، فهذا التشبيه يؤدي وظيفته في إيضاح المعنى وتثبيته في النفس، والوصول لأفضل صورة للمشبه ورسمها وتثبيتها في ذهن المتلقي.

39 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 146

40– ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج8، صـ 12

المبحث الثالث: أنواع التشبيه:

1- التشبيه البليغ:

هو تشبيه حذف منه وجه الشبه وأداة التشبيه، واقتصر فيه على المشبه والمشبه به فقط، وهو من أوجز أنواع التشبيه وأبلغها تأثيراً، وسمي مثل هذا" بليغاً لما فيه من اختصار من جهة، وما فيه من تصور وتخييل من جهة أخرى؛ لأن وجه الشبه إذا حذف ذهب الظن فيه كل مذهب وفتح باب التأول، وفي ذلك ما يكسب التشبيه قوة وروعة وتأثيرا"[41].

إنّ حذف الأداة يقرب بين المشبه والمشبه به لدرجة أن المستمع لا يشعر بفرق كبير بينهما، وحذف وجه الشبه دليل اشتراكهما في معظم الخصائص والصفات؛ لذا فان هذا النوع من التشبيه يعد "أسمى درجة في التشبيه الصريح من حيث هو يسوي بين المشبه به والمشبه تسوية تامة"[42].

فالخيال هو تلمس علاقة ما من العلاقات الكثيرة القائمة بين الأشياء، فيختار منها ويجمع، ويصوغ ويربط كل ذلك بخياله وحسه، فيصنع من الأشياء العادية ومن المعاني المجرّدة شيئا جديدا مستقلا عن عناصره التي يتكون منها، فيبعث في المتلقي أحاسيس تختلف كل الاختلاف عن وقع هذه الأشياء في الواقع المعاش، ويهديه الخيال إلى إبراز المعنى الذهني في صورة محسوس؛ فالمحسوس والمشاهد أمكن في النفس موقعا، فيخلق عليه نوعا من اللذة التي تتولّد من التقارب في التشبيه، والتخالف في الحقيقة.

ومن ذلك قالَ رجلٌ : يا رسولَ اللَّهِ هَل للإسلامِ مِن مُنتهَى قالَ" أيُّما أهلِ بيتٍ منَ العَربِ أو العجمِ أرادَ اللَّهُ بِهِم خَيرًا أدخلَ عليهِم الإسلامَ قالَ ثمَّ ماذا قالَ ثمَّ تقعُ الفتنُ كأنَّها الظُّللُ قالَ كلَّا واللَّهِ إن شاءَ اللَّهُ قالَ: بلَى والَّذي نَفسي بيدِهِ ثمَّ تَعودونَ فيها أساوِدَ صُبًّا يضربُ بعضُكُم رِقابَ بعضٍ"[43]

فقد شبه الرسول– صلى الله عليه وسلم– المسلمين بالأساود الصبا في مراحل ضعف الإسلام أو الفتن، فقد قال " الزهري الأساود الحيات؛ يقول: ينصب بالسيف على رأس صاحبه كما تفعل الحية إذا ارتفعت لسعت من فوق"[44]، وأداة التشبيه في الحديث الشريف جعلت الطرفين أكثر قربًا والتصاقًا، وعدم ذكر وجه الشبه ترك المجال للمتلقي في معرفته ومعرفة ما يربط بين المشبه والمشبه به مما يخرجه إلى نطاق أكثر حرية، ويفسح لمخيلته المجال الأكبر لتصور حال الإسلام وحال المسلمين، وكيف هو الحال الذي تؤول إليه أحوال الإسلام، فترك المعنى يتخيله المتلقي يجعله يتدبر العمل الفني

41- مطلوب، أحمد (1983م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها ، صـ 180
42 – الطرابلسي، محمد الهادي (د-ت): خصائص الأسلوب في الشوقيات، صـ 150
43- العدوي، مصطفى بن (د-ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 59
44 – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج3، صـ 226

ويتحاور معه من خلال المسافة الفكرية ومن خلال خبراته ومكتسباته وإدراكاته وقدراته الذوقيّة وإحساساته الجمالية للمعطيات الجديدة التي اكتسبها"[45] بوساطة ذلك التحاور مع العمل الفني والأدبي.

ومن أمثلة التشبيه البليغ قوله– صلى الله عليه وسلم – في وصف الدجال" وإنه معه جنة ونار ونهر وماء وجبل خبر، وإن جنته نار وناره جنة"[46]، وهنا تكمن القدرة البلاغية للرسول –صلى الله عليه وسلم– على إبداع الصور فينتزعها من مكانها موظفًا إياها في نقيضها الدلالي، حيث شبه نار الدجال بالجنة، وشبه جنة الدجال بالنار، وذلك بهدف إقرار ضلال الدجال من ناحية، وتوضيح اللبث الذي سيصيب الناس في زمن الدجال من ناحية أخرى؛ حتى يصل إلى وضوح من نوع خاص وجديد، معتمدا الخيال وسيلة يكشف بوساطتها جوانب خفيّة من الأشياء، إذ" لا يوجد شيء مألوف ذا حقيقة عتيقة في نظر العبقري، إنما كل ما يلمسه يصبح جديدا عزيزا ذا دلالة مباشرة"[47].

ومنه أيضا قوله– صلى الله عليه وسلم–:" ويبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة"[48] ،وقد اختلفوا في المراد بقوله يتهارجون" فقيل يتسافدون، وقيل يتكاثرون، وقيل يتقاتلون[49]، فحذفُ أداة التشبيه ووجه الشبه جعل المشبّه والمشبه به يتحدان في خاصية التشبيه؛ ليترك لذهن المتلقي ملء الفراغات، ووضع أشياء يستشفها خياله لإكمال المشهد، ومعرفة المقصود بالتهارج، ما يجعله يتعمّق في النص، فيجعل هذا المتلقي جزءا من الحقيقة التي يقدمها النص، وكونه جزءا من هذه الحقيقة، فإذا ما وجدها تحقّقت المتعةُ لديه من ناحية، وتحققت لديه الغاية الإقناعية لما سيحدث مستقبلًا من ناحية أخرى، فالحديث النبوي نص يوحي إلينا معنى جديداً لم يقع من قبل، بهدف نقل من العقل إلى الإحساس ومن الفكر إلى الواقع والحقيقة، فالتشبيه يؤدي إلى بلوغ الثقة فيه غاية التمام"[50].

ومنه أيضا قوله– صلى الله عليه وسلم –:" لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا"[51]، فتشبيه بلاد العرب بالمروج والأنهار تقريب بين بعيدين يتألفان في صورة واحدة هي رغد العيش وكثرة الخير، وكلّما كان التباعد أشد كان التشبيه" إلى النفوس أعجب، وكانت النفوس لها أطرب، وكان مكانها إلى أن تحدث الأريحيّة أقرب، وذلك أن موضع الاستحسان، ومكان الاستظراف، والمثير للدفين من الارتياح، والمتألِّف للنافر من المسرّة، والمؤلِّف لأطراف البهجة أنك ترى بها الشيئين مثلين متباينين، ومؤتلفين مختلفين، وترى

45– عبده، مصطفى (1999م): المدخل إلى فلسفة الجمال (محاور نقدية وتحليلية وتأصيليّة)، مكتبة مدبولي– القاهرة، ط2، صـ 165

46 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 535

47 – ريدج، كول (1971م): النظرية الرومانتيكية في الشعر، ترجمة/ عبد الحكيم حسان، دار منشأة المعارف بالإسكندرية– مصر، صـ82

48– العدوي، مصطفى(د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 519

49– ينظر : ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، ج 2، صـ 389 : 390

50 – الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (د–ت): أسـرار البلاغة، صـ 121.

51– العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 428

الصورة الواحدة في السماء والأرض، وفي خلقة الإنسان وخلال الروض، وهكذا طرائف تنثال عليك إذا فصّلتَ هذه الجملة، وتتبعت هذه اللمحة"[52]، ونتيجة الإيهام في المتلقي يقع التوغل في دقة التصوير وإبداعه.

2– التشبيه التمثيلي:

هو التشبيه الذي يكون فيه وجه الشبه منتزع من متعدد أمرين أو أمور[53]، إذ يتم تركيب الصورة في الذهن عن طريق التخييل، فيقوم الأديب في مخيلته بوصف يجمع بين طرفي التشبيه، وهذا الوصف لم يكن متحققا فعليًا في أحدهما أو فيهما معاً، وإنما تصوراً أو توهمًا، أي أنه أمر توهمي منتزع من أمور جمّة.

إن علاقة هذا النوع من التشبيه علاقة متلازمة، إذ لا يحدث توهم للصفة في جانب المشبه أو المشبه به دون الاعتماد على خاصية التخيل والتصوير، وبه يكتسب التشبيه التمثيلي فاعليته وجماله الفني، فالقيمة الفنية للعمل الأدبي ما هي إلا عملية ربط لعلاقات قائمة بين الأشياء وبعضها حيث إن" الشيء إذا ظهر من مكان لم يُعهد ظهوره منه، وخرج من موضعٍ ليس بمعدنٍ له، كانت صبابةُ النفوس به أكثر، وكان بالشغف منها أجدر"[54]، وإنّ اكتشاف العلاقات بين الأشياء المتباعدة" يحرّك قوى الاستحسان ويثير الكامن من الاستطراف"[55]، ولكن يجب على التشبيه التمثيلي أن يقدم صورة بيانية في نسق يقبله العقل وينتسب بعضها إلى بعض في تركيبات متناسقة ودلالات مستساغة، حتى يكون مجال الإقناع أوسع، ومستوى التأثير في المتلقي أقوى وأعم، عن طريق تحريك الجوانب الشعورية للمتلقي مع النص، مما يدفعه إلى اتخاذ وقفة خاصة تتجلى في فعل أو انفعال تقوده إليه مخيلته التي تأثرت بالتخييل الأدبي واستجابت له[56]؛ ونتيجة لما سبق فإننا نجد أن الرسول الأعظم – صلى الله عليه وسلم– قد استعمل هذا النوع من التشبيه بشكل كبير ولافت للنظر في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، وإن دل شيء فإنما يدل على أهميّة هذا التشبيه في توضيح الصور للسامع، و بثّ المعنى المراد تخيّله في ذهن المتلقي وتحقيق الغاية الإقناعية.

ومن أمثلة التشبيه التمثيلي قول رسولِ اللهِ – صلى الله عليه وسلم– :" يُجاءُ برجلٍ فيُطرَحُ في النار، فيُطحَنُ فيها كطَحنِ الحِمارِ برَحاه، فيُطيفُ به أهلُ النارِ فيقولونَ: أيْ فلانُ، ألستَ كنتَ تأمُرُ بالمعروفِ وتَنهى عنِ المُنكَرِ؟ فيقولُ: إني كنتُ آمُرُ بالمعروفِ ولا أفعَلُه، وأنهى عنِ المُنكَرِ وأفعَلُه"[57].

52– الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (د–ت): أسـرار البلاغة، صـ 130

53–انظر: القزويني، الخطيب (1414هـ – 1993م): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح/ عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت ،ط3، صـ90

54 – الجرجاني، أبو بكر عبد القاهر (د–ت): أسرار البلاغة، صـ 131

55 – المـرجع السابق، صـ 131

56 – ينظر: عصفور، جابر (1992م): الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، صـ61

57– العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ103

ففي الحديث تشبيه تمثيلي لأنه منتزع من عدة أمور متوهمة، إذ جعل الرسول–صلوات الله عليه وآله–المستمع يبحر في خيال الصورة التي رسمها بتشبيه الأمر بالمعروف ولا يفعله كمن يطحن في النار كطحن الحمار.

ومن هذا التشبيه–أيضا– قول رسول الله – صلى الله عليه وسلم –:" مثلُ القائمِ على حدودِ اللَّهِ والواقعِ فيها كمثلِ قومٍ استَهموا على سفينةٍ فأصابَ بعضُهم أعلاَها وبعضُهم أسفلَها فَكانَ الَّذينَ في أسفلِها إذا استقوا منَ الماءِ مرُّوا على من فوقَهم فقالوا لو أنَّا خرقنا في نصيبنا خرقًا ولم نؤذِ من فوقنا فإن يتركوهم وما أرادوا هلَكوا جميعًا وإن أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعًا"[58].

فالمصطفى– صلى الله عليه وسلم – يدعم بهذا التشبيه حجته في الإقناع، وذلك عن طريق خلق المعاني المتوازية لتترتب في نفس السامع حتى تتضح، فيشده للمعنى المراد، ويجعله منفعلاً بما يطوف به خياله، مستمتعا بتلك الصور التي تبرز قدرة أبلغ العرب وأفصحهم على التصرف في هندسة التعبير وتسخيرها فنيا وجماليا. فهو يصور حال المجتمع الذي تقع فيه المعصية والمخالفة، حيث شبه ذلك المجتمع بالسفينة وشبه القائم في حدود الله والواقع فيها بالقوم الذين استهموا على سفينة، النبي– صلى الله عليه وسلم– يضرب الأمثال في أمور محسوسة تقرب المعنى بصورة كأنك تشاهدها، ولما كانت هذه السفينة مكونة من طابقين، فمن الأولى بسطحها؟ ومن الأولى بالغرف التي في أسفلها، حتى صار بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها، وكان الذين في أسفلها إذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم، فقالوا نحن أشغلنا هؤلاء الناس وآذيناهم وضيقنا عليهم بصعودنا المتكرر إليهم، فما هو الحل؟ لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقاً، فهل يتركونهم ويقولون لهم: هذه حرية شخصية وهذا مكانكم، ولا أحد يتعرض لكم؟ فإن تركوهم غرق الجميع، ودخل عليهم الماء، وإن أخذوا على أيديهم ومنعوهم نجوا جميعاً، وهكذا هو الحال بين القائم على حدود الله والواقع فيها.

ومن التشبيه الذي يركّب فيه المشبه والمشبه به من أجزاء عدّة قوله– صلى الله عليه وسلم –:" يوشك أن تداعى عليكم الأمم من كل أفق كما تداعى الأكلة إلى قصعته"[59]، فالتشبيه في الحديث فيه من الدقة والوصف ما يحمل المتلقي على تدقيق النظر في وجه الشبه وهو تداعي الأمم وتكالبها على أمة الإسلام، فشبه الرسول– صلى الله عليه وسلم– الأمم الكافرة بالأكلة وشبه أمة الإسلام بالقصعة التي يتكالب عليها الأكلة، فهذا التشبيه يجبر المتلقي أو المخاطب على إثارة عواطفه وانفعاله بالصورة المتخيّلة، ليحظى بلذّة الاستمتاع بجمال التعبير وحلاوته، فتتحقق من ورائه المقاصد الأساسية لإبراز الحقيقة وتوضيحها بشكل فنيّ ومتقَن، فـ" عناصر الجمال الأدبي للكلام تكمن في الإتقان في إبراز دقائق الصورة،

58– العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 251
59 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، صـ 395

ماديّة كانت أو غير مادية، وذلك لدى رسمها في الصورة الكلامية، مع استيفاء العناصر اللازمة لإبراز الحقيقة بشكل جميل وواضح"[60].

ومن التشبيه التمثيلي قوله– صلى الله عليه وسلم–" إن الإيمان ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها"[61]، و(يأرز) بكسر الراء ويجوز فيها الفتح والضم، ومعنى (يأرز) يرجع ويثبت، وهذا التشبيه مركب من عدة صور فقد شبه الإيمان بالحية والمدينة بالجحر، أن الإيمان يرجع ويثبت في المدينة كما أن الحية إذا خرجت من جحرها رجعت إليه، فهذا التشبيه يثير في نفس المتلقي انفعالات وجدانية تجعله يعيش التجربة الجمالية، ولا شكّ في أنها–التجربة الجمالية– جزء " أصيل له أهميته في العملية الإبداعية من خلال الموقف الجمالي، وموقف [الأديب] والمتلقي أثناء حالات الاستجابة من خلال وعي جمالي للمدركات الجمالية قبل وأثناء وبعد العملية الإبداعية"[62]، فتتحرك لذلك نفس السامع لتلقي المعنى المراد بارتياح وإقبال عليه.

والتشبيه السابق يعد من جميل التشبيهات تلك التي وظفها الرسول ليصنع من القبح والتقزز صورًا تحمل معنى جميلا ومؤثرا في نفس المتلقي، تبعث فيه –على الرغم مما تحتويه– التعجب والدهشة حيث تشبيه الإسلام بالحية حال عودتها إلى جحرها ، فالمتعة الأدبية هي أن "النفس تنبسط وتتلذذ بالمحاكاة، فيكون ذلك سببًا لأن يقع"[63] المعنى في نفسه إيقاعا جليّا يساعده بشكل أكبر على الاعتبار والتعلم، واحتواء الفكرة المقصودة.

ومنه أيضًا أن رسول الله–صلى الله عليه وسلم– قال" إنما أجلكم في أجل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس، وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا فقال من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط؟ فعملت اليهود على قيراط قيراط، ثم قال: من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط فعملت النصارى على قيراط قيراط، ثم أنتم تعملون من صلاة العصر إلى مغارب الشمس على قيراطين قيراطين فغضبت اليهود والنصارى وقالوا نحن أكثر عملًا وأقل عطاءً قال هل ظلمتكم من حقكم شيئا قالوا لا قال فإنه فضلي أوتيه من أشاء "[64].

فبهذه الصورة المتخيلة قرب الرسول–صلى الله عليه وسلم– المعنى الذي يريد إيصاله إلى ذهن السامع وهو أجل أمة الإسلام ومن سبقها من الأمم ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس مما يدل على تقارب الزمان، بالإضافة إلى تمثيله

60 – حبنكة، عبد الرحمن حسن (1996م): البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ، دار القلم– دمشق –سوريا ، الدار الشامية– بيروت– لبنان، ط1، صـ 98
61– العدوي، مصطفى(د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 390
62– عبده، مصطفى (1999م): مـدخل الى فلسفة الجمال، صـ 171
63 – ابن رشد (1973م): تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق/ عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة– بيروت– لبنان، صـ.171
64 – العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة ، صـ 384

للفرق بين المسلمين واليهود والنصارى ، حيث اعتمد الرسول على خيال السامع في إدراك المعاني المرادة التي كانت تجيش في صدره الشريف، ولأن" التخييل هو إيحاء أو خلق لحالة نفسية في ذات المتلقي في حالة النفور والقبول"[65]، فإن تلك النفسية تسهم إسهاماً فاعلاً في إدراك تلك الظلال والإيحاءات، لتتكامل الصورة بجانبيها اللفظي البليغ والمعنوي المتخيّل، فتجعل القول أبلغ تأثيراً في النفس، وأكثر علوقاً في الذهن، وأقرب أريحية للقلب.

3- التشبيه المرسل:

إنّ كل ضروب الصور الفنية سواء أكانت معقّدةً أو بسيطة تؤدي وظيفتها التي يريدها الأديب، فالصورة المعقّدة لا تصلح لتأدية المعاني التي تؤديها الصورة البسيطة، والصورة البسيطة لا تقدر على إبراز المعاني التي تظهرها سابقتها؛ لذلك فانّ البليغ الأديب يلجأ لنوع من التشبيه دون آخر، مستغلّا قدرة التشبيه التخيلية في إعادة تكوين تجاربه؛ ليخلق منها تجارب جديدة معبرة بعمق عن نفسية صاحبها، منصهرة في تجربته التي يحاول أن يعكسها بشكل أو بآخر للمتلقي، معتمدا على "ما تلمحه النفوس من اشتراك بعض الأشياء في وصف خاص يربط بينها"[66] لاستثارة انفعاله، فيدرك بخياله مرامي المبدع ومقاصده.

ولعل من التشبيهات البسيطة التي استخدمها رسولنا الكريم – صلى الله عليه وسلم– لتوصيل المعنى المراد إلى المتلقي بشكل واضح وبسيط التشبيه المرسل، وهو: التشبيه الذي تذكر فيه أداته[67]، إذ يسلِّط الضوء على المعنى المراد عرضه، بطريقة تحقق تفاعل المتلقي مع ذلك المعنى، ويتخذ منه الرسول–صلى الله عليه وسلم– وسيلة مهمة للربط بين المشبه والمعنى الكامن في المشبه به، لتستمد الصورة بهذه الأداة قوة تشد انتباه السامع وتسحبه للمعنى المراد توصيله إليه بشكل مباشر.

ومن ذلك قوله–صلى الله عليه وسلم–:" سيكون في آخر أمتي رجال يركبون على سرج كأشباه الرحال.."[68] فشبه الرسول الأكرم– صلوات الله عليه وآله– رجال من أمته يركبون سروجًا تشبه الرحال، وقد استعمل أداة التشبيه(الكاف)؛ ليترك المجال للمتلقي في معرفة وجه الشبه الذي يربط بين المشبه والمشبه به، فأعطى التشبيه بهذا اللون فائدة" إثبات الخيال في النفس بصورة المشبه به أو فيما معناه"[69].

65- الجوزو، مصطفى (1981م): نظريات الشعر عند العرب، دار الطليعة- بيروت،ط1، صـ 116
66 - عبد القادر، حامد (1949م): دراسات في علم النفس الأدبي، صـ41
67- ينظر: مطلوب، أحمد (1983م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، صـ201
68- العدوي، مصطفى(د-ت) : الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم، صـ 411
69- ينظر: ابن الأثير (1962م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر: 124/2.

ومنه أيضا قوله–صلى الله عليه وسلم–" إنَّ العبدَ المؤمنَ إذا كان في انقطاعٍ من الدُّنيا وإقبالٍ من الآخرةِ بعث اللهُ إليه ملائكةً من السماءِ بيضُ الوجوهِ كأنَّ وجوهَهمُ الشمسُ حتى يقعدوا منه مدَّ البصرِ معهم كفنٌ من أكفانِ الجنةِ وحَنوطٌ من حَنوطِ الجنةِ ويجيءُ ملكُ الموتِ حتى يقعدَ عندَ رأسِهِ فيقول أيتُها النفسُ الطيّبةُ اخرُجي إلى مغفرةٍ من اللهِ ورضوانٍ فتخرجُ تسيلُ كما تسيلُ القطرةُ[من] فِي السِّقاءِ"[70]، إذ شرع النبي–صلى الله عليه وسلم– في تصوير الملائكة التي تستقبل المؤمن عند موته، مستخدما أداة التشبيه (كأن) لتدل على تقريب المشبه من المشبه به من حيث النور؛ وذلك لقدرتها على إلغاء الفوارق بين الأشياء المتضادة أو المتباعدة، فأصبح بها طرفا التشبيه كالشيء الواحد.

ومن أمثلة التشبيه المرسل قول رسول الله– صلى الله عليه وسلم– :" لا تقوم الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا نِعالُهم الشعرَ ولا تقومُ الساعةُ حتى تقاتلوا قومًا كأنَّ وجوهَهم المجانُّ المُطْرَقَةُ.."[71]، فكانت أداة التشبيه(كـأن) أداة الوصل التي تربط بين وصفه لهؤلاء القوم الذين سيقاتلون المسلمون قبل قيام الساعة، ولما كان رسولنا الحبيب لا ينطق عن الهوى فقد قدم لنا تشبيها لهؤلاء القوم، فكان تشبيه وجوههم بالمجان المطرقة دليل واضح على أن النبي حين ذكر هذا الحديث عن هؤلاء القوم كان يراهم رؤيا العين والدليل على ذلك معرفته–صلى الله عليه وسلم– بملامح وجوههم منتقيًا من البيئة ما قد يساعده في إيصال الصورة للمتلقي، فمن "عناصر الجمال الأدبي في الكلام تقريب الصورة الغائبة، وذلك بوصفها في صورة مشهودة النظر، أو في صورة متخيَّلة في أذهان المخاطبين"[72].

ومنه أيضا قوله –صلى الله عليه وسلم–" أعدد ستة بين يدي الساعة: موتي، ثم فتح بيت المقدس، ثم مَوَتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم.."[73]، فقد شبّه الرسول– صلى الله عليه وسلم – الموتان بقصاع الغنم مستخدما أداة التشبيه (الكاف) للتقريب بين المشبه والمشبه به، ولا شك في أن" أسلوب التشبيه أكثر من غيره في إصابة الغرض ووضوح الدلالة على المعنى"[74]، فيكشف عن المعنى المقصود بسعة الفكر والخيال مع الاختصار في العبارة، وهنا تكمن فنيّة القول وجماليته، ويعظم في نفس المتلقي تأثيره ومكانته.

الخاتمـــة

في نهاية البحث توصل الباحث إلى بعض النتائج ، أهمها:

1– إن أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة كان لها تحديات استثنائية وهي تعلقها بالمستقبل وبما سيحدث في

70 – العدوي، مصطفى (د–ت) : الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم، صـ 224

71– المرجع السابق، صـ 355

72 – حبنكة، عبد الرحمن حسن (1966م): البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ، صـ 98

73 – العدوي، مصطفى(د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم، صـ 351

74– عتيق، عبد العزيز: علم البيان (1960م)، صـ 105

الأزمنة والأحقاب المتعاقبة، تلك التحديات التي اقتضت الإكثار من الرافد البياني بصوره المتعددة، لا سيما تقنية التشبيه التي ترسم للمتلقي أو المخاطب صوره للمشبه الذي لم يكن معروفا في الوقت آنذاك.

2- إن الدراس المتأمل لأحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة سيجد أن أكثر الصور البيانية ورودا فيها هو التشبيه بأنواعه المختلفة وتقسيماته المتعددة، ولعل الداعي إلى ذلك هو حاجة النبي لإقناع مخاطبيه ومحاولة حملهم على تصديق ما سيحدث لاحقًا، والغاية من ذلك هو الاستعداد الأمثل لهذا المستقبل الذي بلغنا به رسولنا الكريم منذ بعثته، هذا المستقبل الذي حاول– صلى الله عليه وسلم– رسم صورة حية له عن طريق التصوير البياني والذي يعد التشبيه واحدًا منه.

3- يأتي التشبيه المرسل في المرتبة الثانية بعد التشبيه التمثيلي من حيث التواجد في أحاديث الفتن والملاحم، ولعل الغاية من ذلك هو محاولة التقريب بين طرفي التشبيه وجعلهما شيئا واحدا مما يزكي العملية الإقناعية للخطاب النبوي.

4- ثمة دمج في الحديث النبوي الشريف بين غايتي الإقناع والإمتاع البلاغي، وهو ما قد نلاحظه فيما سبق من تشبيهات تؤدي وظيفة مزدوجة.

5- هناك اختلاف واضح بين المنبع الحقيقي لظاهرة التشبيه في الحديث النبوي الشريف وبين المنبع الخيالي لظاهرة التشبيه في أي خطاب شعري.

6- الحديث النبوي الشريف ذو سمات تواصلية كونه خطابا إقناعيا، ووسيلة من وسائل التمكين لمقتضى القول.

7- إن بلاغة الرسول – صلى الله عليه وسلم– وفصاحته متأثرة بالبيئة والتربية والنشأة وهو ما يظهر جليًا في تشبيهاته في أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة التي استقى جلّ مادتها من بيئته المحيطة بكل عاداتها وتقاليدها ومناخها وتأثيراتها الجغرافية.

8- تعد جماليات التشبيه وغاياته الإقناعية– في المادة موضوع الدراسة– دليلاً على القدرة اللغوية لمحمد– صلى الله عليه وسلم– لنقيم دليلاً عقلياً على فصاحته وبلاغته.

9- أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة تضمنت تشبيهات واضحة وسهلة تجسد للسامع والقارئ بصورة واقعية وحقيقية لأشياء غيبية كأنه يراها ويعيشها، مثل تصوير الجنة والنار، والنعيم والعذاب، والفتن والحروب، وعلامات الساعة وخروج المسيح الدجال.

المصـادر والمراجـع

أولا: مصدر الدراسة:

– العدوي، مصطفى (د–ت): الصحيح المسند من أحاديث الفتن والملاحم وأشراط الساعة، مكتبة مكة، (د–ط).

ثانيا: مراجع الدراسة:

1– ابن الأثير (1962م): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق/ أحمد الحوفي و بدوي طبانة، مكتبة نهضة مصر– القاهرة، ط1.

2– البطل، علي (1983م): الصورة الفنية في الشعر العربي حتى آخر القرن الثاني الهجري، دار الأندلس– بيروت، ط3.

3– الجرجاني، علي بن محمد بن علي (1405هـ): التعريفـــات، تحقيق/ إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي– بيروت، ط1.

4– الجندي، علي (1966م): فن التشبيه، ج2، مكتبة الأنجلو المصرية– القاهرة– مصر، ط2.

5– الجوزو، مصطفى (1981م): نظريات الشعر عند العرب، دار الطليعة– بيروت، ط1.

6– حبنّكة، عبد الرحمن حسن (1416هـ–1996م): البلاغة العربية (أسسها وعلومها وفنونها) ، دار القلم– دمشق، الدار الشامية– بيروت، ط1.

7– الحنفي، صدر الدين محمد ابن أبي العز (1426هـ– 2005م): شرح العقيدة الطحاوية، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة– الطبعة المصرية الأولى.

10– ابن رشـد (1973م): تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تحقيق/ عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة– بيروت، (د–ط).

11– الرماني، أبو الحسن علي بن عيسى (1387هـ – 1968م): النكت في إعجاز القرآن، مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق/ محمد أحمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف – القاهرة، ط2.

12– ريدج، كول (1971م): النظرية الرومانتيكية في الشعر، ترجمة/ عبد الحكيم حسان، دار منشأة المعارف بالإسكندرية– مصر، (د– ط).

13– الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله (1377 هـ – 1958م): البرهان في علوم القرآن، تحقيق/ محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط2.

14- السيوطي، جلال الدين بن أبي بكر(1416هـ – 1996م): الإتقان في علوم القرآن، تحقيق/ سعيد المندوب، دار الفكر العربي– بيروت، ط1.

15- شمال الدين، محمود (2006م): الصورة والإقناع(دراسة تحليلية)، دار الآفاق العربية – بيروت، ط1.

16- شيخ أمين، بكري (1982م): البلاغة العربية في ثوبها الجديد، ج٣، دار العلم للملايين، ط1.

17- الطرابلسي، محمد الهادي (1981م): خصائص الأسلوب في الشوقيات، منشورات الجامعة التونسية– مجلة الفلسفة والآداب – تونس، عدد 20.

18- عبد القادر، حامد (1949م): دراسات في علم النفس الأدبي، لجنة البيان العربي – المطبعة النموذجية– القاهرة، (د–ط).

19- عبده، مصطفى (1999م): المدخل إلى فلسفة الجمال (محاور نقدية وتحليلية وتأصيليّة)، مكتبة مدبولي– القاهرة، ط2.

20- عتيق، عبد العزيز (1970م): علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر– بيروت، لبنان، (د–ط).

21- العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل (1371هـ –1952م): كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر)، تحقيق/ علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية– القاهرة، ط1.

22- عصفور، جابر (1992م): الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي– بيروت، ط3.

23- علوان، محمد وأخر: من بلاغة القرآن الكريم، الدار العربية للنشر والتوزيع – القاهرة ، ط2 ، 1998م.

24- فارس، أحمد(1410هـ –1990م): معجم مقاييس اللغة، تحقيق/ عبد السلام هارون، ج4، الدار الإسلامية– لبنان، (د–ط).

25- الفيروز آبادي، محمد بن يعقوب (د– ت): القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة– بيروت، (د– ط).

26- القزويني، الخطيب(1414هـ، 1993م): الإيضاح في علوم البلاغة، شرح وتعليق وتنقيح/ عبد المنعم خفاجي، دار الجيل– بيروت،ط3.

27- مطلوب، أحمد (1983م): معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، المجمع العلمي العراقي– بغداد، ج1،(د–ط).

28- المناوي، محمد عبد الرؤوف (1410هـ): التعـاريف، تحقيق/ محمد رضوان الدّاية، دار الفكر المعاصر – بيروت، ودار الفكر– دمشق، ط1.

29- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين (1990م): لسان العرب، دار صادر– بيروت، ط2.